الكلية	العلوم الاسلامية
القسم	التفسير وعلوم القرآن
المادة باللغة الانجليزية	The miracle of the Qur'an
المادة باللغة العربية	الاعجاز القرآني
المرحلة الدراسية	الثالثة ك ١
اسم التدريسي	سمير عبد حسن
عنوان المحاضرة باللغة الانجليزية	The occurrence of the match and opposition
عنوان المحاضرة باللغة العربية	قيام المقتضي للمباراة والمعارضة
رقم المحاضرة	5
المصادر والمراجع	علم الإعجاز القرآني بين الفن والتاريخ .. خليل رجب
	الاعجاز القراني .. مصطفى مسلم
	مصادر اخرى ذات علاقة بالمادة الاعجازية

محتوى المحاضرة

قيام المقتضي للمباراة والمعارضة:

العرب كانوا بأشد الحاجة إلى إبطال دعوة محمد ﷺ، وتكذيبه، وصد الناس عنه؛ لأن النبيﷺ جاءهم بدين جديد أبطل فيه دينهم، وجاءهم بكتاب يسفه أحلامهم، ويسخر من آلهتهم وعقولهم، فدعاهم إلى اتباعه واعتقاد أنه رسول من عند الله، فكذبوه، فقال لهم: إن الحجة على صدقي هذا الكتاب (القرآن) الذي أوحاه الله إليَّ، فإذا لم تصدقوني في ذلك فأنا أتحداكم أن تأتوا بمثله أو بمثل سورة منه، وإذا عجزتم، فذلك آية صدقي، وبرهان رسالتي من الله إليكم، ولا سيما أنه وارد بلسانكم.

«وقد كانوا أحوط شيء على إطفاء نوره، وإخفاء أمره، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعا للحجة، ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه، بل عدلوا إلى العناد تارة، وإلى الاستهزاء أخرى، فتارة قالوا: سحر، وتارة قالوا: شعر، وتارة

قالوا: أساطير الأولين، كل ذلك من التحير والانقطاع، ثم رضوا بتحكيم السيف في أعناقهم، وسبي ذراريهم وحرمهم، واستباحة أموالهم، وقد كانوا آنف شيء وأشده حمية، فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدرتهم لبادروا إليه، لأنه كان أهون عليهم».[١]

فما كان أحوجهم إلى يأتوا بمثله وإلى دحض مدعاه بعد هذا التحدي السافر والتهكم الشديد، بعبارات قوية، ولهجات واخزة، تستفز العزيمة، وتدفع للمباراة، وذلك بسلوك أيسر الطرق، وولوج أقرب الأبواب لرد دعواه، عن طريق ما برعوا فيه وهو(البيان والفصاحة) في النطق واللسان، وهو أسهل عليهم، وأيسر وأنفع من الحرب التي لاقوا ويلاتها وخاضوا غمارها، وأخف مؤونة من التقتيل والسبي والتشريد من الأوطان الذي لحقهم، ولو كانوا قادرين على المعارضة لما قدموا على الحرب وطعن الرماح مع ما لحقهم بسببه، ويتركوا الأسهل والأخف،[٢] يقول الباقلاني: «كيف يجوز أن يقدروا على معارضة القرآن السهلة عليهم وذلك يدحض حجته، ويفسد دلالته، ويبطل أمره فيعدلون عن ذلك إلى سائر ما صاروا إليه من الأمور ... ويتركون الأمر الخفيف، هذا ما يمتنع وقوعه في العادات، ولا يجوز اتفاقه من العقلاء».[٣]

الأمر الثالث: انتفاء ما يمنعهم من المعارضة:

إن الرسول ﷺ قد جاءهم بمعجزته القرآنية من أشهر فن في زمانه، ودخل على العرب من أيسر الطرق، وأعطاهم الفرصة الكافية لمناظرته، ولو جاءهم من باب لا يعرفونه لقالوا: رجل حَذَق فناً من الفنون التي لا علم لنا بها، أو تعلم صناعة لم نحط بخبرها، أما وقد جاءهم من الناحية التي شهدوا لأنفسهم فيها بالتفوق والسبق، فلا يسعهم إلا الإذعان له، والإيمان بما جاء به، مثاله مثال معجزة موسى عليه السلام، إذ جاء فرعون وقومه من الباب الذي تفوقوا فيه وضربوا فيه بأوفر نصيب، خصوصا وأنهم أمة وهو فرد، وهم

١- الإتقان: ٥/٤.

٢- ينظر: بدائع الفوائد: ابن القيم: ٩٤٦/٤.

٣- إعجاز القرآن: الباقلاني: ٣٩

نابغون في السحر، وهو مع نشأته فيهم لم يعرف يوما بمعالجة السحر، فإذ ما ألقى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون، وكان أول من آمن به هم السحرة أنفسهم، لأنهم أعرف بالسحر ومقدماته ونتائجه: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ، وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ الأعراف: ١١٨–١٢٢.

وهكذا معجزة النبي ﷺ القرآنية، كان أكثر من دخل في الإسلام من العرب أرباب البيان، وسبب دخولهم فيه هو سماعهم للقرآن وإذعانهم لبيانه، ومن تكبر على الحق وأبى فإنما كان بعد تسليمه بسبق القرآن، وهزيمته أمام أسلوبه وبيانه، وقد أقر رائدهم بذلك فقال: «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه، وما هو والله بقول بشر» حتى أغروا صبيانهم وسفهاءهم أن يلغوا فيه عند تلاوته لئلا يسمعوه فيقع الإيمان في قلوبهم ... وقص القرآن عنهم قولهم هذا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فصلت: ٢٦.

وبيان ذلك من ثلاثة أوجه:

١– جانب اللغة: فالقرآن نزل بلسان عربي وهو لسانهم، ألفاظه من أحرف العرب، وعباراته على أسلوبهم، وهم أهل البيان واللسن، وأمراء الفصاحة والبلاغة، وقد دلت أشعارهم وخطبهم وحكمهم على براعتهم في ذلك، وحازوا قصب السبق في البيان، والفصحى لغتهم الأساسية هي لغة القرآن التي بها يتبارون.

٢– جانب المعنى والقدرة: فلم يكونوا في عجز من قدرتهم الذاتية أو نقص في عقولهم، بل كانتا موفورتين وهم أولوا الفهم والألباب، اشتهروا بالذكاء والبصيرة وكانوا أولي تجربة وخبرة كما تدل على ذلك أشعارهم ومنثور كلامهم وآثارهم ومحافلهم ونتاجاتهم، ومع ذلك دعاهم القرآن أن يستعينوا بمن شاءوا، ويكملوا ما ينقصهم بمن أرادوا كأهل الأديان، أو الاتصال بالسحرة والكهان من طوائف الأنس والجان.

٣- جانب الزمن: فلم يضرب لهم النبي ﷺ أجلاً للمعارضة، ولم يحدد زمناً للتحدي حتى يعتذروا فيقولوا إن الزمن لا يكفي وليس فيه سعة، بل هو زمن مفتوح، متروك لهم متى شاءوا، كما أن القرآن لم ينزل جملة واحدة، بل استمر نزوله ثلاثاً وعشرين سنة يتحداهم، فلما عجزوا دل على أنه تنزيل من رب العالمين.[٤]

قال الجاحظ: «بعث الله محمدا ﷺ أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عدة، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجة، فلما قطع العذر وأزال الشبهة، وصار الذي يمنعهم من الإقرار: الهوى والحمية دون الجهل والحَيْرة، حملهم على حظهم بالسيف، فنصب لهم الحرب ونصبوا له،... وهو يحتج عليهم بالقرآن، يدعوهم صباحا ومساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة واحدة، أو بآيات يسيرة، فكلما ازداد تحديا لهم بها، وتقريعا لعجزهم عنها، تكشف من نقصهم ما كان مستورا، وظهر منه ما كان خفيا.

فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا، قال: فهاتوها مفتريات، فلم يرم ذلك خطيب، ولا طمع فيه شاعر، ... فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم، واستحالة لغتهم، وسهولة ذلك عليهم، وكثرة شعرائهم، وكثرة من هجاه منهم ...؛ لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله، وأفسد لأمره، وأبلغ في تكذيبه، وأسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس، والخروج من الأوطان، وإنفاق الأموال، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والعقل بطبقات، ... فمحال- أكرمك الله- أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر، والخطأ المكشوف البين، مع التقريع بالنقص، والتوقيف على العجز، وهم أشد الخلق أنفة، وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد عملهم، وقد احتاجوا إليه، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض، فكيف بالظاهر! وكما أنه محال أن يطبقوا

---

٤ - علم أصول الفقه: عبد الوهاب خلاف: ٢٥-٢٧ والنبأ العظيم: ٨٥.

ثلاثا وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة، فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل إليه، وهم يبذلون أكثر منه».[٥]

وبهذا يكون قد ثبت لنا تحقق أركان الإعجاز وشروط المعجزة في القرآن، وبه يثبت كون القرآن معجزة نبينا محمد ﷺ، وأن إعجازه باقٍ ومستمر إلى يوم القيامة، وتحديه قائم لكافة الناس، وقد أجمعت الأمة قديما وحديثا على هذا.

جامعة الأنبار
1987 1428
UNIVERSITY OF ANBAR

٥- الإتقان: ٤/٥-٦.